"الجغرافيا في كل مكان :
الثقافة والرمزية في المظاهر الطبيعية البشرية"

من كتاب آفاق في الجغرافيا البشرية (1988)

دينيس كوسجروف

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

مقدمة

نشأ دينيس كوسجروف في ليفربول بإنجلترا . في مقابلة وفي أثناء تأمله في طفولته ، أشار إلى مدى أهمية جولات الأسرة يوم الأحد على طول الأرصفة ، مع مناظرها الطبيعية التي تضم سفنًا قادمة من موانئ بعيدة ، وتاثيرها في اهتمامه المبكر بجغرافية الثقافة . واليوم ، يشغل دينيس كوسجروف كرسي هومبولت المرموق للجغرافيا في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس . ويطلب منا كوسجروف ، كونه أحد الشخصيات الرئيسية في نهج المظاهر الطبيعية كنص ، إعادة التفكير في التقنية الراسخة المتمثلة في "قراءة" المظاهر الطبيعية الثقافية .

ولطالما تم تشجيع جغرافيي الثقافة على فحص المظاهر الطبيعية المرئية والمادية من حولهم بحثًا عن أدلة على الثقافات التي شكلتها من الطبيعة . إن المظاهر الطبيعية البشرية هي سيرتنا الذاتية غير المقصودة ، والتي تعكس أذواقنا وقيمنا وتطلعاتنا ، بل وحتى مخاوفنا في شكل ملموس ومرئي... إن كل عيوبنا الثقافية موجودة هناك ، وكذلك أمجادنا ؛ ولكن قبل كل شيء ، فإن صفاتنا اليومية العادية معروضة لأي شخص يريد العثور عليها ويعرف كيف يبحث عنها". بعبارة أخرى ، **المظاهر الطبيعية هي مرآة أمينة يمكننا أن نرى أنفسنا منعكسة فيها** . وتتلخص مهمة الجغرافي الثقافي في الملاحظة بعناية قدر الإمكان ، كما قد يفعل المحقق ، لتلك القرائن التي قد تمر دون أن يلاحظها أحد .

في ثمانينيات القرن العشرين ، وخاصة بين جغرافيي الثقافة البريطانيين ، خضعت مهمة "قراءة" المظاهر الطبيعية لتحول عميق . وإذا كان المشهد الطبيعي نصاً بالفعل ، فمن المؤكد أن التطورات النظرية في تفسير النصوص الأدبية يمكن أن تمتد إلى كيفية قراءتنا للمشهد الطبيعي الثقافي . وعلى وجه التحديد ، دفعت المناهج ما بعد البنيوية في النقد الأدبي والمجالات ذات الصلة بعض جغرافيي الثقافة إلى التأكيد على أن المظاهر الطبيعية يمكن قراءتها بطرق متعددة . فبدلاً من امتلاك معنى واحد موحد يكشف عنه الجغرافي الثقافي بشق الأنفس ، قد يقرأ الأفراد والمجموعات المتنوعة في المجتمع المشهد الطبيعي نفسه بطرق مختلفة تمامًا . ولنأخذ مثالاً مقتطف من كوسجروف الذي أعيد إنتاجه أدناه ، حيث تم تفسير واستخدام مركز التسوق الذي يرتاده مع عائلته بطرق عديدة من قبل أشخاص مختلفين . حتى أن البعض ، مثل الشباب العاطلين عن العمل الذين يذكرهم ، يُستبعدون من المشاركة فيه . وعلى حد تعبير كوسجروف ، فإن مركز التسوق هو "مكان منسوج للغاية ، مع طبقات متعددة من المعنى ... مكان رمزي حيث تلتقي عدد من الثقافات ... وربما تتصادم " .

إن **التمثيل الرمزي** يشكل أهمية خاصة لهذا النهج النظري الذي يعتمد على عد **المظاهر الطبيعية نصاً في جغرافية الثقافة** . فالثقافة المهيمنة لها اليد العليا (كما في أغلب الأمور) في تحديد محتوى المظاهر الطبيعية : ما (ومن) سيتم تضمينه ، وما (أو من) سيتم استبعاده . بعبارة أخرى ، يتم إعادة إنتاج القوة الاجتماعية من خلال المظاهر الطبيعية . وكما استكشف كينيث فوت في كتابه "الأرض المظللة : المظاهر الطبيعية للعنف

والمأساة في أميركا" (1997) ، فإن تحديد الأحداث المهمة في تاريخ الأمة ـ أو ما إلى ذلك ـ هو أمر بالغ الأهمية . إن عدم تحديد هذه الرموز ، أو حتى رفض تحديدها ـ يقول الكثير عن ما ترغب الأمة في عرضه عن نفسها للعالم الخارجي ، فضلاً عن مواطنيها . على سبيل المثال ، تُعَد ساحات معارك الحرب الأهلية في الولايات المتحدة مظاهر طبيعية مميزة للاحترام الوطني ، في حين تظل الأحداث التي ما تزال تشكل مخزية في الضمير الوطني الأميركي ـ مثل معسكر الاعتقال مانزانار حيث احتجز اليابانيون الأميركيين أثناء الحرب العالمية الثانية ، أو موقع إعدام الساحرات في سالم ـ غير مميزة .

فضلاً عن ذلك ، فإن الرابط بين الرمز (الذي يُطلق عليه "الدال" في علم اللغة) وما يمثله (المدلول) ليس طبيعياً ولا غير قابل للتغيير . بل إنه مبني اجتماعياً ، وعلى هذا النحو ، يمكن الطعن فيه وتغييره . وفي مثال فوت أعلاه ، ومع تعامل الولايات المتحدة مع حلقات العنف العنصري التي تشكل جزءاً من ماضيها ، أصبحت مواقع هذا العنف أكثر وضوحاً ببطء ولكن بثبات على المشهد . تُوضع هناك اللوحات التذكارية والنصب التذكارية وغيرها من رموز تخليد الذكرى . وتُصنع هذه اللوحات بشكل منفصل عن المظاهر الطبيعية المحيطة ، من خلال سياج أو تقنيات أخرى ، وتُعتنى بأرضياتها ، وتظهر على الخرائط . وبالتالي، **أصبحت قراءة المظاهر الطبيعية ، في أعمال العديد من جغرافيي الثقافة النقديين ، تحليلاً لعلاقات القوة الاجتماعية بكل تعقيداتها الديناميكية** .

يُعد كتاب "أيقونات المظاهر الطبيعية" لكوسجروف ، الذي حرره بالاشتراك مع ستيفن دانييلز (1988) ، نصًا بارزًا في دراسة المظاهر الطبيعية والتمثيل . يتلخص جوهر العمل العلمي لدينيس كوسجروف في دراسة تطور تمثيل المظاهر الطبيعية وممارستها في أوروبا ، وخاصة في البندقية وشمال إيطاليا . كما يستكشف بالتفصيل في كتابه الكلاسيكي "التكوين الاجتماعي والمظاهر الطبيعية الرمزية" (1984؛ وأعيد إصداره بفصل تمهيدي جديد في عام 1998) ، العلاقات الاجتماعية والاقتصادية المتطورة للرأسمالية ، مع التركيز على الأراضي المملوكة للقطاع الخاص والعمل المأجور ، تنعكس وتشفيرها ومناقشتها من خلال المظاهر الطبيعية الأوروبية وتمثيلاتها ، وخاصة في هندسة المظاهر الطبيعية والرسم .

ركزت منشورات كوسجروف الأحدث بشكل أكثر على استخدام الرمزية . باستخدام صورة "الرخام الأزرق" النموذجية للأرض كما تُرى من الفضاء ، زعم كوسجروف أنه منذ ظهور هذه الصورة في عام 1972 تغير فهمنا للأرض ومكاننا فيها بشكل عميق . في "عين أبولو : علم الأنساب الخرائطي للأرض في الخيال الغربي" (2001) ، لاحظ كوسجروف أن صورة الرخام الأزرق أصبحت ترمز إلى الوحدة البشرية . ومع ذلك ، فإن المحاولات البشرية لتمثيل الأرض لها تاريخ طويل ، ويربط كوزجروف بين هذه التمثيلات والمفاهيم المتغيرة للهوية الغربية . تم تمثيل معظم هذه الصور في المقام الأول من خلال الخرائط ، وهو المفهوم الذي يستكشفه كوزجروف بشكل أكبر في مجموعته المحررة بعنوان Mappings (1999).

المعاني والمظاهر الطبيعية

في صباح أيام السبت ، لا أمارس الجغرافيا عن وعي . فأنا ، مثلي كمثل العديد من الأشخاص الآخرين في سني وأسلوب حياتي ، أتسوق مع عائلتي في منطقة وسط المدينة المحلية . إنها ليست مكانًا خاصًا جدًا ، حيث يتم إضاءتها بشكل مصطنع تحت موقف السيارات متعدد الطوابق ، وتحتوي على مجموعة متوقعة تمامًا من المتاجر المتسلسلة... مزدحمة إلى حد ما بالمستهلكين من العائلات المرتدين الأنيقين والمريحين . يمكن العثور على المشهد نفسه في أي مكان تقريبًا في إنجلترا . قم بتغيير أسماء المتاجر ثم إن المشهد سيكون نموذجيًا لمعظم أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية . قد يهتم الجغرافيون بالمكان لأنه يحتل موقع

ذروة الإيجار في المدينة ، وقد يدرسون عرض الواجهة أو السلع المعروضة كجزء من دراسة البيع بالتجزئة ، أو قد يقيمون تأثيره على مورفولوجيا المدينة الموجودة مسبقًا ، لكنني أتسوق .

ثم أدركت أن أشياء أخرى تحدث أيضًا : يُطلب مني المساهمة في قضية لا أوافق عليها ؛ أستدير عند الزاوية وهناك منشورات مسيحية إنجيلية قديمة توزع . المساحة المفتوحة الرئيسية تشغلها لوحات نوافذ للعرض "إنني أعتقد أن هذا المكان هو مكان مثالي ، حيث توجد العديد من الطرق التي يمكن أن أسلكها ، ولكنني أعتقد أن هذا المكان هو مكان مثالي ، حيث توجد العديد من الطرق التي يمكن أن أسلكها ... حتى في صباح يوم السبت ، ما زلت جغرافيًا . فالجغرافيا موجودة في كل مكان .

الثقافة والرمزية هما كلمتان لا تفلتان بسهولة أو بشكل متكرر من ألسنة معظم الجغرافيين البشريين في بريطانيا . وعلى العموم ، نحن نفخر بعمليتنا العملية وأهميتنا . ونفضل التعامل مع المواد الملموسة التجريبية ، لتفسير العالم بمصطلحات دقيقة وقابلة للقياس من الضرورة العملية . ومنذ ستينيات القرن العشرين ، كان الجغرافيون البشريون البريطانيون يميلون إلى العمل وفقًا لافتراضات معينة غير معلنة حول كيفية الشروع في تفسير أنماط الوجود والنشاط البشري ، وهي افتراضات تميل إلى استبعاد الثقافة والرمز من الحسبان... وهذه الافتراضات ليست مخزية بأي حال من الأحوال .

ولكن هذه الحجج تؤدي إلى استبعاد الكثير من أجندتنا مما قد تدرسه الجغرافيا البشرية في مجالات النشاط المكاني البشري وتعبيراته البيئية . فضلاً عن ذلك فإنها تنتج تناقضاً عميقاً داخل الموضوع . فإذا كانت نوايانا قائمة على أسس أخلاقية وكانت نتيجة عملنا ذات قيمة للبشرية ، بينما تظل موادنا تجريبية بحتة وتفسيراتنا للدوافع البشرية نفعية بشكل حاسم ، فإننا نحرم أنفسنا من لغة لتأطير الأهداف التي نسعى إلى تحقيقها : خلق عالم بشري أفضل...

أولاً، ضاع السحر الحقيقي للجغرافيا وسط تيار التطبيق العملي الجاد وبين ألواح الحقائق القابلة للإثبات ـ الشعور بالدهشة إزاء العالم البشري ، وفرحة رؤية وتأمل العالم . إننا ندرك أن الجغرافيا هي فن الحياة البشرية ، وأننا ندرك أن الحياة البشرية هي فن الحياة . إن هذه التجربة هي التي تجعل من مجلة ناشيونال جيوغرافيك واحدة من أكثر المجلات شعبية في العالم . إن الجغرافيا ، في نهاية المطاف ، موجودة في كل مكان... **ومن بين مهام الجغرافيين أن يظهروا أن الجغرافيا موجودة للاستمتاع بها** . وفي كثير من الأحيان كنا أكثر نجاحًا في إضعاف هذه المتعة بدلاً من تعزيزها .

ثانيًا، ما نفقده أيضًا في الوظيفية النفعية للعديد من التفسيرات الجغرافية هو الاعتراف بالدوافع البشرية بخلاف الدوافع العملية الضيقة . لقد تم نفي تلك العواطف المحرجة ، والتي تكون أحيانًا قوية بشكل مخيف ، والتي تحفز العمل البشري ، من بينها العواطف الأخلاقية والوطنية والدينية والجنسية والسياسية . ونحن جميعًا نعلم مدى تأثير هذه الدوافع بشكل أساسي على سلوكنا اليومي ، ومدى تأثيرها على استجابتنا للأماكن والمشاهد ، حتى في منطقة التسوق . ولكن في الجغرافيا البشرية يبدو أننا نتجاهلها أو ننكرها عمداً ، ونرفض استكشاف الكيفية التي تجد بها مثل هذه المشاعر تعبيرها في العوالم التي نخلقها ونحولها . ونتيجة لهذا **فإن جغرافيتنا تغفل الكثير من المعاني الكامنة في المشهد البشري ، وتميل إلى اختزاله في تعبير غير شخصي عن القوى الديموغرافية والاقتصادية** .

إن فكرة تطبيق بعض المهارات التفسيرية التي نستخدمها في دراسة رواية أو قصيدة أو فيلم أو لوحة على المشهد البشري ، ومعاملتها كونها تعبيراً بشرياً مقصوداً يتألف من طبقات عديدة من المعنى ، فكرة غريبة بالنسبة لنا إلى حد كبير . ومع ذلك فإن هذا هو ما أقترح استكشافه ، واقتراح سبل التعامل مع الجغرافيا كونها إنسانية بقدر ما هي علم اجتماعي . وقد بدأ مثل هذا النهج في الظهور بين عدد صغير من الجغرافيين البشريين منذ أوائل سبعينيات القرن العشرين. . . وكما هي الحال مع كل التحولات في اتجاه البحث الجغرافي

، فإن هذا التغيير مرتبط بحركات اجتماعية أوسع نطاقاً : الاحتجاجات ضد الاستغلال البيئي والتلوث ، وعدم الارتياح إزاء التخطيط الضخم والمظاهر الطبيعية المجهولة لإعادة التنمية الحضرية ، والصوت المتنامي للنساء المنظمات اللواتي يتحدين هيمنة الثقافة الذكورية ، وفشل الإجماع الاجتماعي والسياسي في فترة ما بعد الحرب ، كل هذا لعب دوره في دفع الجغرافيا البشرية نحو الجغرافيا الإنسانية . ولكن فكرة الجغرافيا البشرية كونها إنسانية ليست ناضجة أو متطورة بالكامل .

لذا فإن ما يلي يجب أن يكون تقييماً شخصياً للإمكانيات . وسوف أتناول هذا من خلال مناقشة "إن مصطلح "المظاهر الطبيعية" يرتبط ارتباطًا وثيقًا في الجغرافيا البشرية بالثقافة ، وفكرة الأشكال المرئية على سطح الأرض وتكوينها . **إن "المظاهر الطبيعية" في الواقع "طريقة للرؤية" ، وطريقة لتكوين وتنسيق العالم الخارجي في "مشهد" ، وحدة بصرية** . ظهرت كلمة "المظاهر الطبيعية" في عصر النهضة للإشارة إلى **علاقة جديدة بين البشر وبيئتهم** . وفي الوقت نفسه ، شهد علم رسم الخرائط ، وعلم الفلك ، والهندسة المعمارية ، ومسح الأراضي ، والرسم ، والعديد من الفنون والعلوم الأخرى ثورة من خلال تطبيق القواعد الرياضية والهندسية الرسمية المستمدة من إقليدس . وكان يُعتقد أن مثل هذه القواعد ستعيد الفنون والعلوم إلى كمالها الكلاسيكي .

ولعل أكثر هذه "الفنون الميكانيكية" إثارة للدهشة من وجهة نظر العلاقات المكانية هو اختراع المنظور الخطي . إذ يسمح لنا المنظور بإعادة إنتاج الوهم الواقعي المتمثل في فضاء ثلاثي الأبعاد مؤلف بطريقة عقلانية في بعدين . ويمكن فرض نظام وشكل متماسكين فكرياً وعملياً عبر العالم الخارجي . وليس من المستغرب أن يظهر رسم المظاهر الطبيعية في الفترة نفسها لأول مرة في أوروبا كأسلوب شعبي ، بالتوازي مع فن مزدهر للمناظر الطبيعية في الشعر والدراما وتصميم الحدائق والمتنزهات . وكان هذا أيضاً العصر الذي كانت فيه المساحات الأرضية تُرسم بطريقة عقلانية على شبكات إسقاطات الخرائط المتطورة ، في حين كانت المظاهر الطبيعية البشرية العقلانية تُبنى في العواصم مثل روما وسان بطرسبرج وباريس ، وتُرسم عبر الأراضي المستصلحة حديثاً في شمال إيطاليا وهولندا وشرق إنجلترا ، أو على العقارات المسيّجة لملاك الأراضي التقدميين وعلى مساحات شاسعة من الأراضي الاستعمارية في الخارج .

ترتبط المظاهر الطبيعية ارتباطًا وثيقًا بطريقة جديدة لرؤية العالم كونه خلقًا منظمًا وعقلانيًا ومتناغمًا ، حيث يمكن للعقل البشري أن يدرك بنيته وآليته ، كما يمكن للعين البشرية أن تدركهما ، وتعمل كدليل للبشر في تغييرهم وتحسينهم للبيئة . وبهذا المعنى فإن المظاهر الطبيعية مفهوم معقد أود أن أحدد ثلاثة آثار له :

(أ) التركيز على الأشكال المرئية لعالمنا ، وتكوينها وبنيتها المكانية ؛

(ب) الوحدة والتماسك والنظام العقلاني أو التصميم في البيئة ؛

(ج) فكرة التدخل البشري والسيطرة على القوى التي تشكل وتعيد تشكيل عالمنا . وينبغي التأكيد على أن مثل هذا التدخل ليس علاقة غير عقلانية أو استغلالية أو مدمرة ، بل علاقة من شأنها أن توفق بين الحياة البشرية والنظام أو النمط المتأصل في الطبيعة نفسها .

إن هذه النقطة بالغة الأهمية ، فكما نرى من خلال أدنى معرفة بتمثيل المظاهر الطبيعية في الرسم أو الشعر أو الدراما ، فإن أقوى الموضوعات هي تلك التي تعلق على الروابط بين الحياة البشرية والحب والشعور والإيقاعات الثابتة للعالم الطبيعي : مرور الفصول ، ودورة الميلاد والنمو والتكاثر والعمر والموت والتحلل والولادة الجديدة ؛ والانعكاس المتخيل للحالات المزاجية والعواطف البشرية في مظهر الأشكال الطبيعية . ولهذه الأسباب فإن المظاهر الطبيعية مفهوم قيم بشكل فريد بالنسبة للجغرافيا الإنسانية . وعلى عكس المكان ، فإنها تذكرنا بموقعنا في مخطط الطبيعة . وعلى عكس البيئة أو الفضاء ، فإنها تذكرنا بأن هذا المخطط لا نعرفه إلا من خلال الوعي البشري والعقل ، ولا يمكننا المشاركة فيه كبشر إلا من خلال التقنية . في الوقت

نفسه ، **يذكرنا المشهد الطبيعي بأن الجغرافيا موجودة في كل مكان ، وأنها مصدر دائم للجمال والقبح ، والصواب والخطأ ، والفرح والمعاناة ، بقدر ما هي مصدر للربح والخسارة** .

الثقافة

لقد زعمت في أعلاه أن المشهد الطبيعي في الجغرافيا البشرية كان مرتبطًا منذ فترة طويلة بالثقافة . وهذا ينطبق بشكل خاص على الجغرافيا البشرية الأمريكية ، حيث أدت تعاليم وكتابات كارل ساور إلى ولادة مدرسة في **جغرافية المظاهر الطبيعية** تركز على دور البشر في تحويل وجه الأرض . وكان التركيز بشكل أساسي على التكنولوجيات: على سبيل المثال استخدام النار، وتدجين النباتات والحيوانات ، والهيدروليكا ، ولكن أيضًا إلى حد ما على الثقافة غير المادية (أي المعتقدات الدينية ، والأنظمة القانونية والسياسية وما إلى ذلك) . وركز الاهتمام على المجتمعات ما قبل الحديثة أو أدلتها في المشهد الطبيعي المعاصر، على سبيل المثال الأدلة في المشهد الأمريكي على الثقافات الهندية والإفريقية والأوروبية المختلفة التي شكلته .

لقد ركزت جغرافية الثقافة في هذا التقليد على الأشكال المرئية للمناظر الطبيعية ـ بيوت المزارع ، والحظائر، وأنماط الحقول ، والساحات العامة ـ على الرغم من أن تقليداً مماثلاً في بريطانيا كان يفحص الظواهر غير المرئية مثل أسماء الأماكن بحثاً عن أدلة على التأثيرات الثقافية الماضية . وكانت الثقافة نفسها تعد مفهوماً غير إشكالي نسبياً : مجموعة من الممارسات المشتركة بين مجموعة بشرية معينة ، وهي ممارسات تعلمتها وتناقلتها الأجيال . **ويبدو أن الثقافة تعمل من خلال الناس لتحقيق غايات لم يدركوها إلا بشكل خافت** . وقد أطلق النقاد على هذا "**الحتمية الثقافية**" ، وأكدوا على الحاجة إلى نظرية ثقافية أكثر دقة (في الجغرافيا على وجه الخصوص) إذا كنا نريد أن نتعامل مع المظاهر الطبيعية المعاصرة والثقافة الحديثة المتطورة . وتسعى جغرافية الثقافة المتجددة إلى التغلب على بعض نقاط الضعف هذه من خلال نظرية ثقافية أقوى . ما يزال من الممكن قراءة المشهد كونه نصًا ثقافيًا ، لكنه يدرك أن النصوص متعددة الطبقات ، مما يوفر إمكانية قراءات مختلفة متزامنة ومتساوية في الصلاحية. . . . .

الرمز

لفهم التعبيرات التي كتبتها الثقافة في مشهدها الطبيعي ، نحتاج إلى معرفة "اللغة" المستخدمة : الرموز ومعناها داخل تلك الثقافة . **كل المظاهر الطبيعية رمزية** ، على الرغم من أن الرابط بين الرمز وما يمثله (مرجعه) قد يبدو ضعيفًا للغاية . إن لوحًا مهيمنًا من الرخام الأبيض مكتوبًا عليه أسماء ، ويعلوه صليب ومزين بأكاليل الزهور والأعلام يقف في قلب المدينة رمزًا قويًا للحزن الوطني على الجنود الساقطين ، على الرغم من عدم وجود رابط بين الظاهرتين خارج قانون الذكرى العسكرية الخاص . قد يكون مسقط رأس شخصية وطنية عظيمة منزلًا عاديًا ، ومع ذلك ، فإنه يحمل معنى رمزيًا هائلاً للمبتدئين . الكثير من رمزية المظاهر الطبيعية أقل وضوحًا بكثير من أي من هذين المثالين . لكنها ما تزال تخدم غرض إعادة إنتاج المعايير الثقافية وتأسيس قيم المجموعات المهيمنة في جميع أنحاء المجتمع .

خذ على سبيل المثال الحديقة البلدية لمدينة إقليمية إنجليزية. تشغل عادةً من عشرة إلى خمسة عشر فدانًا في الضواحي الداخلية الفيكتورية ، ويمكن الوصول إليها سيرًا على الأقدام من مركز المدينة . محاطة بحدائق مطلية باللون الأخضر أو الأسود ، ما تزال الحديقة تحتفظ بتصميمها الذي يعود إلى القرن التاسع عشر، والذي يتألف من حدائق مقصوصة ، ومسارات متعرجة ذات حواف دقيقة ، ومسارات متعرجة تتعرج عبر حدود عشبية ، وأحواض صيفية ملونة ومزارع شجيرات ، وربما بحيرة صغيرة وأشجار نفضية متناثرة

. وفي إحدى الزوايا يوجد ملعب للأطفال، مسيج بعناية . يعرف أي شخص يدخل الحديقة غريزيًا حدود السلوك ، وقواعد السلوك المناسبة . وبشكل عام ، يجب على المرء أن يمشي أو بالأحرى يتجول على طول المسارات . والجري مخصص للأطفال فقط والعشب للجلوس عليه أو للتنزه . ويمكن إطعام البط ، ولكن لا يجوز التجديف أو صيد الأسماك في المسبح .

ولا ينبغي تسلق الأشجار ، ولا ينبغي تشغيل الموسيقى إلا من قبل فرقة نحاسية موحدة على منصة موسيقية من الحديد المطاوع . وباختصار، يجب أن يكون السلوك مهذبًا ومنضبطًا . وعندما يتم انتهاك هذه القواعد ، كما يحدث ، من قِبَل مراكز الموسيقى ، أو راكبي الدراجات البخارية ، أو الأزواج المفرطين في الغرام ، أو المتشردين الذين يحملون الزجاجات ، فإن هذه الحقيقة تُلاحَظ ، ويسجل عدم الموافقة بوضوح من قِبَل أولئك الذين ، على الرغم من أنهم ربما يشكلون أقلية عددية ، إلا أنهم مع ذلك يتمتعون بالرمزية الأخلاقية للمظاهر الطبيعية المصممة بالكامل . ولا توجد حاجة كبيرة إلى اللافتات ، على الرغم من أن لوائح الحديقة المطبوعة غير المقروءة عند المدخل من شأنها أن تؤكد تفسير الضامنين الصالحين للآداب .

وعلى الرغم من التغيرات الاجتماعية الهائلة التي حدثت منذ أصولها الفيكتورية ، فإن قواعد السلوك ما تزال تتمتع بالشرعية في الحديقة لأن المظاهر الطبيعية نفسها ، وتنظيم المساحة ، واختيار النباتات ، واستخدام الألوان ، وطريقة الصيانة ستظل دون تغيير إلى حد كبير . إنها تنقل مجموعة محددة من القيم . وإذا تتبعنا تاريخ مثل هذه المتنزهات فسوف نجد **أن الهدف المعلن لمؤسسيها كان السيطرة الأخلاقية والاجتماعية . وبهدف تحسين الرفاهة الجسدية والروحية للطبقات العاملة** (التي أدى تفككها إلى خفض الأرباح) ، عملت الطبقة المتوسطة الفيكتورية بنشاط على تثبيط هوايات التسلية التقليدية : شرب الخمر في الحانات ، ومصارعة الديوك ، والمهرجانات أو المعارض التي تقام في الأراضي العامة . واستبدلت بها الحدائق العامة ، وكتبت قواعد السلوك فيها بدقة شديدة .

وعلى الرغم من مرور الوقت ، فإن هذه المقاطع المميزة من المظاهر الطبيعية الحضرية الإنجليزية ما تزال ترمز إلى المثل العليا للياقة التي تبنتها البرجوازية الفيكتورية . وتحمل جميع المظاهر الطبيعية معنى رمزيًا لأنها جميعها نتاج الاستيلاء البشري على البيئة وتحويلها . ويمكن قراءة الرمزية بأسهل طريقة في أكثر الأشكال تصميمًا إن المظاهر الطبيعية ـ المدينة ، والمنتزه ، والحديقة ـ ومن خلال تمثيل المظاهر الطبيعية في الرسم ، والشعر ، وغير ذلك من الفنون . ولكنها موجودة للقراءة في المظاهر الطبيعية الريفية وحتى في أكثر البيئات الطبيعية ـ التي تبدو غير إنسانية ـ على الإطلاق . وهذه الأخيرة غالباً ما تكون رموزاً قوية في حد ذاتها .

خذ على سبيل المثال المظاهر الطبيعية القطبية ، التي تنبع أهميتها الثقافية على وجه التحديد من عدم قدرة البشر على قهرها على نحو واضح . فخلال فترة البعثات القطبية الكبرى في مطلع القرن ، أصبحت المظاهر الطبيعية التي تتألف من الجليد ، والشقوق ، والعواصف الثلجية ، والدببة القطبية ، والبحار الخضراء النموذج الحقيقي لعالم الأولاد ، والمسرح لخيال ثقافي ذكوري بريطاني من الطبقة العليا . وتسبب موت سكوت في عام 1912 في تحويل جزء من القارة القطبية الجنوبية إلى "إنجلترا إلى الأبد". لقد تم إحياء الموضوعات الإمبراطورية للبطولة العسكرية التي تستمد قوتها من بيئة قاحلة معادية في عام 1982، عندما "زحفت" القوات البريطانية عبر جزر جنوب المحيط الأطلسي أثناء حرب فوكلاند ومالفيناس .

قراءة المظاهر الطبيعية الرمزية

إن المعاني المتعددة الطبقات للمظاهر الطبيعية الرمزية تنتظر فك رموزها الجغرافية . والأساليب المتاحة لهذه المهمة صارمة ومتطلبة ، ولكنها ليست غامضة أو صعبة الفهم في الأساس . إنها في الأساس تلك المستخدمة في جميع العلوم الإنسانية . والشرط الأساسي هو القراءة الدقيقة والمفصلة للنص ، بالنسبة لنا المظاهر الطبيعية نفسها بكل تعبيراتها . **لقد أدرك الجغرافيون دائمًا** ، على الأقل من خلال الخدمة الشفوية ، **أهمية المعرفة العميقة والحميمة للمنطقة قيد الدراسة** . والطريقتان الرئيسيتان لتحقيق ذلك هما من خلال العمل الميداني ورسم الخرائط والتفسير. وفي تطوير مثل هذه المعرفة الشخصية ، يتم توليد استجابة فردية للغاية حتمًا .

إن هذه الاستجابة أو الاستجابات التي نحتاج إلى أن ندركها ، ليس من أجل استبعادها في البحث عن "الموضوعية" ، بل لكي نتمكن من التفكير فيها والاعتراف بها بصدق في كتابة جغرافيتنا . وفي الوقت نفسه ، نسعى إلى "المسافة الحرجة" ، والبحث غير المهتم عن الأدلة وتقديم تلك الأدلة خالية من التشويه الواعي . وأعني بالدليل أي مصدر يمكن أن يخبرنا بالمعاني التي تحتويها المظاهر الطبيعية ، بالنسبة لأولئك الذين صنعوها ، وغيروها ، وأبقوها ، وزاروها ، وما إلى ذلك . والدليل الذي قد يتحدى ميولنا ونظرياتنا تمامًا كما ستُبلغ مجموعتها نفسها بتلك الميول والنظريات . ومن المهم أن ندرك أن ما يُقترح هنا لا يفترض معرفة عميقة أو متخصصة ، بل مجرد استعداد للنظر ، وطرح السؤال غير المتوقع والانفتاح على التحديات للافتراضات المسلم بها . في كثير من الأحيان ، يكون الأطفال ، ناهيك عن تأقلمهم مع المعاني التقليدية ، هم أفضل حافز لاستعادة المعاني المشفرة في المظاهر الطبيعية .

إن النوع من الأدلة التي يستخدمها الجغرافيون الآن لتفسير رمزية المظاهر الطبيعية الثقافية أوسع بكثير مما كان عليه في الماضي . إن الأدلة المادية في الميدان والمصادر الخرائطية والشفوية والأرشيفية وغيرها من المصادر الوثائقية تظل جميعها ذات قيمة . ولكننا غالبًا ما نجد أن الأدلة التي تقدمها المنتجات الثقافية نفسها - اللوحات والقصائد والروايات والحكايات الشعبية والموسيقى والأفلام والأغاني - يمكن أن توفر قبضة قوية على المعاني التي تمتلكها الأماكن والمظاهر الطبيعية وتعبر عنها وتستحضرها كما تفعل المصادر "الواقعية" الأكثر تقليدية . كل هذه المصادر تقدم مزاياها وقيودها الخاصة ، وكل منها يتطلب تعلم تقنيات إذا كان من المقرر التعامل معها بكفاءة .

وفوق كل شيء ، فإن الحساسية التاريخية والسياقية من جانب الجغرافي أمر ضروري . إننا لابد أن نقاوم إغراء انتزاع المشهد من سياقه الزماني والمكاني ، مع تنمية قدرتنا الخيالية على "التعمق في تفاصيله" لنراه من الداخل . وأخيرًا ، في مثل هذه الجغرافيا ، تكون اللغة أمرًا بالغ الأهمية . إن نتائج دراستنا تُنقل في المقام الأول من خلال النصوص التي ننتجها بأنفسنا . إن نص تفسير المشهد الجغرافي هو الوسيلة التي ننقل من خلالها معناه الرمزي ، والذي من خلاله نعيد تقديم هذه المعاني . ولا شك أن فهمنا يتأثر بقيمنا ومعتقداتنا ونظرياتنا ، ولكنه يرتكز على السعي إلى الحصول على الأدلة وفقًا للقواعد المعترف بها للمنح الدراسية غير المهتمة . وفي عملية تمثيل المشهد ، تشكل الكلمات المكتوبة والخرائط ، التي تعد في حد ذاتها رموزًا رمزية ، الأدوات الرئيسية لمهنتنا .

فك رموز المظاهر الطبيعية الرمزية : بعض الأمثلة لقد اقترحت سابقًا أنه من منظور الثقافة كونها قوة ، يمكننا أن نتحدث عن الثقافات المهيمنة ، والمتبقية ، والناشئة ، والمستبعدة ، والتي ستكون لكل منها

تأثير مختلف على المجتمع البشري . **المظاهر الطبيعية** ، وسوف أستخدم هذا التصنيف الثلاثي كإطار لتوضيح النهج الذي قد تتبناه الجغرافيا "الإنسانية" في التعامل مع المظاهر الطبيعية . ولا أزعم أن هذا التصنيف شامل أو موضوعي . فهو يعمل كأداة تنظيم مفيدة ، ليس أكثر من ذلك .

المظاهر الطبيعية للثقافة المهيمنة

بحكم التعريف ، الثقافة المهيمنة هي ثقافة مجموعة تتمتع بالسلطة على الآخرين . ولا أعني بالسلطة المعنى المحدود لهيئة تنفيذية أو حاكمة معينة فحسب ، بل أعني المجموعة أو الطبقة التي ترتكز هيمنتها على الآخرين بشكل موضوعي على السيطرة على وسائل الحياة : الأرض ، ورأس المال ، والمواد الخام ، وقوة العمل . وفي التحليل النهائي ، فإنهم هم الذين يحددون ، وفقًا لقيمهم الخاصة ، تخصيص الفائض الاجتماعي الذي تنتجه الجماعة بأكملها . إن قوتهم مدعومة ومعاد إنتاجها إلى حد كبير من خلال قدرتهم على إبراز والتواصل ، من خلال أي وسائط متاحة وعبر جميع المستويات والانقسامات الاجتماعية الأخرى ، صورة للعالم متوافقة مع تجربتهم الخاصة ، وقبول هذه الصورة كانعكاس حقيقي لواقع الجميع . هذا هو معنى الإيديولوجية .

ولنأخذ مثالاً محدداً : خلال السنوات التي أعقبت الثورة الفرنسية كان هناك خوف كبير بين الطبقة الحاكمة الإنجليزية ، التي كانت ما تزال تهيمن عليها مصالح ملاك الأرض ، من أن العمال الزراعيين الإنجليز ، الذين يشكلون أكبر مجموعة من العمال ، قد "يصابون بعدوى الروح الثورية للحرية والمساواة والأخوة . ومن وجهة نظر الملاك الإنجليزي ، فإن مثل هذه النتيجة ستكون كارثية على النظام الاجتماعي برمته ، لأن التوازن المتناغم الذي كان يناسبه أن يعتقد أنه موجود بين جميع الطبقات في مملكته المحكوم بها سيتم تحطيمه وسيحل محلها الفوضى . ولقد ظهرت كل أنواع النداءات للوطنية والحريات القديمة التي كان يتمتع بها الفلاحون الإنجليز الأحرار الذين يتمتعون بالتغذية الجيدة ، إلى جانب رسوم كاريكاتورية للفلاحين الفرنسيين الهزيلين الذين يتضورون جوعاً في حريتهم .

وكانت هناك استجابة أخرى ، ربما كانت غير واعية إلى حد ما ، وهي الشعبية التي اكتسبتها بين خبراء الرسم ـ وهم أنفسهم من ملاك الأراضي وأفراد الطبقة الحاكمة ـ المظاهر الطبيعية المرسومة التي تصور مشاهد ريفية هادئة حيث يجمع العمال الراضون حصاداً وفيراً أو يستريحون مع أسرهم في هدوء . إن مثل هذه المشاهد ، على الرغم من بعدها عن الواقع الريفي ، كانت إنجليزية من حيث التضاريس ومسالمة اجتماعياً بشكل مطمئن . وفقط من خلال النظر إلى مثل هذه الصور الطبيعية في سياقها ، يمكننا أن نبدأ في الكشف عن أحد معانيها الثقافية الرئيسية : أن الله كان في السماء بالنسبة لملاك الأراضي الإنجليز وأن كل شيء على ما يرام في العالم . كما تمنحنا هذه الصور فرصة لشراء واحدة من أكثر صور المظاهر الطبيعية الإنجليزية بقاءً ، وهي الصورة التي ما يزال تُعاد إنتاجها اليوم في المظاهر الطبيعية التي نسعى إلى الحفاظ عليها في القرى الخلابة والحقول المنظمة جيدًا من القش والذرة ، وكذلك على بطاقاتنا البريدية وملصقاتنا السياحية. وبالنسبة للمظاهر الطبيعية القائمة ، فمن المرجح أن نرى التعبير الأكثر وضوحًا عن الثقافة المهيمنة في المركز الجغرافي للسلطة .

في المجتمعات الطبقية ، وكما يتركز الفائض اجتماعياً ، فإنه يتركز مكانياً ، في البيوت الريفية وحدائقها على سبيل المثال ، ولكن قبل كل شيء في المدينة . ومن المفيد أن نلاحظ كيف كان استخدام الأشكال الهندسية العقلانية متسقاً تاريخياً في تصميم المدن : الدائرة ، والمربع ، والمحور المتعامد أو نظام الطرق الشبكي الحديدي ، كلها تتكرر . وتختلف هذه الهندسة جذرياً عن المنحنيات والتموجات في المظاهر الطبيعية

. فهي تمثل العقل البشري ، وقوة الفكر . ويمكن العثور على الهندسة الإقليدية كأساس للشكل الحضري في خطط المدن اليونانية والرومانية وعصر النهضة والباروك والفيكتورية القديمة ، وحتى في المظاهر الطبيعية الخيرية ظاهرياً لتصميم مدينة الحدائق لإبنيزر هوارد ، وكذلك في الشكل الحضري الصيني والهندي والمایاني . **إن المظاهر الطبيعية للمدن الحديثة هي تمارين في الهندسة التطبيقية ، سواء كنا نفكر في مدينة لو كوربوزييه المشعة أو مكعبات مانهاتن أو أفق دالاس** .

ولنأخذ مثالاً محددًا لهذا الموضوع المتعلق بالقوة والمظاهر الطبيعية الهندسية ، فلنتأمل العاصمة الأميركية . فقد بُنيت على "أرض عذراء" سلمتها ولايتا فيرجينيا وميريلاند للحكومة الفيدرالية ، وسُمِّيت على اسم أول رئيس ، وكانت واشنطن العاصمة مقرًا للسلطة لأول دولة جديدة في العصر الحديث ومركزًا لإقليم أكبر من أوروبا بأكملها . وفي إعلان الاستقلال والدستور ، أعلن المؤسسون البيض الأرستقراطيون الأوروبيون للولايات المتحدة عن رؤيتهم لمجتمع وديمقراطية جديدين ومثاليين . وكانت مُثُلهم الثقافية هي التي احتُفي بها في المظاهر الطبيعية المصممة لواشنطن العاصمة . لقد وضع لانفانت مخططًا من تصميمين هندسيين بسيطين : النمط المتعامد المشع الذي يفضله الملوك الأوروبيون تقليديًا الذين يمارسون سلطة مطلقة تشع من أشخاصهم ومحاكمهم ، والنمط الشبكي القابل للتكرار إلى ما لا نهاية والذي أصبح الأساس لكل مدينة استعمارية ، وهو شكل ديمقراطي ومساواتي لا يمنح أي موقع واحد وضعًا مميزًا .

هنا ، محفورًا في نمط الشارع نفسه لعاصمة الأمة ، القرار الأمريكي بالمركزية الأوروبية والمحلية الاستعمارية ، والفيدرالية وحقوق الولايات. . . . تنتج الخطة خمسة عشر عقدة ، واحدة لكل ولاية قائمة في الاتحاد (ثلاث عشرة مستعمرة سابقة بالإضافة إلى كنتاكي وتينيسي) ، و . . . تقع المباني الرمزية [في الوسط] . إن البيت الأبيض ومبنى الكابيتول ، السلطتين المتوازنتين بين السلطتين التنفيذية والتشريعية بموجب الدستور الأميركي ، يقعان عند طرفي حرف L كبير يرتفع عند زاويته نصب واشنطن التذكاري تخليداً لذكرى البطل المؤسس للثورة ، والذي يقع على ضفة نهر بوتوماك حيث تلتقي الطبيعة والثقافة . ويتصل البيت الأبيض ومبنى الكابيتول مباشرة بخط شارع بنسلفانيا ، الذي سمي على اسم "ولاية حجر الأساس" . وبالتالي يمكن "قراءة" المشهد الحضري لواشنطن كونه إعلاناً عن الثقافة السياسية الأميركية مكتوباً في الفضاء .

إن مثل هذه المظاهر الطبيعية الرمزية ليست مجرد بيانات ثابتة وشكلية . فالقيم الثقافية التي تحتفل بها تحتاج إلى إعادة إنتاجها بنشاط إذا كان لها أن تستمر في أن يكون لها معنى . ويتحقق هذا إلى حد كبير في الحياة اليومية من خلال التعرف البسيط على المباني وأسماء الأماكن وما شابه ذلك . ولكن في كثير من الأحيان يتم تعزيز القيم المنقوشة في المشهد من خلال الطقوس العامة أثناء الاحتفالات الكبرى أو الصغرى . في كل عام ، "يفتتح" الملك البريطاني البرلمان ، وهي مناسبة لطقوس متقنة في قصر وستمنستر . والجزء الأكبر من هذه الطقوس علنية للغاية وتستخدم المظاهر الطبيعية في لندن . ويمر الملك في عربة رسمية برفقة حاشية من المؤسسة العسكرية والمدنية من قصر باكنغهام إلى أسفل المول ومن خلال قوس الأميرالية - من خلال بوابة مفتوحة فقط لمرور التاج - مروراً بميدان ترافالغار مع آثاره لانتصارات الجيش البريطاني ونزولاً إلى وايتهول إلى البرلمان .

وبالتالي ، يتم ربط التاج والبرلمان عبر طريق احتفالي - والممر يتميز بطقوس عامة متقنة ومثيرة للإعجاب . هنا ، وفي طقوس أخرى ، مثل Trooping the Colour ، والزيارات الرسمية ، وحفلات الزفاف الملكية ومسيرات النصر، تتحد المساحة الحضرية مع (غالبًا ما يتم اختراعها) التقاليد والإشارات الوطنية من أجل الاحتفال بالقيم "الوطنية" وتقديمها كونها تراثًا مشتركًا لجميع المواطنين . ومن المفيد أن نقارن بين المسارات التي تسلكها مثل هذه الأحداث الثقافية الرسمية وتلك التي يسلكها مستخدمون احتفاليون

آخرون للمناظر الطبيعية الحضرية : مواكب النقابات العمالية ، أو المحتجون ضد الأسلحة النووية ، أو كرنفالات جزر الهند الغربية على سبيل المثال . ويمكن تطبيق تحليل مماثل على مقاييس مختلفة على تصميم واستخدام الفضاء في أي مجتمع من أكبر مدينة إلى أصغر قرية بمواقعها الرمزية مثل النصب التذكاري للحرب ، والكنيسة ، والساحة ، وقاعة الفيلق البريطاني أو نادي العمال . ولكل من هذه المظاهر الطبيعية استخداماتها الطقسية فضلاً عن تصميمها الرمزي . وفحصها وفك شفرتها يسمح لنا بالتأمل في أدوارنا الخاصة في إعادة إنتاج الثقافة والجغرافية البشرية لعالمنا اليومي .

المظاهر الطبيعية البديلة

بحكم طبيعتها ، تكون الثقافات البديلة أقل وضوحًا في المظاهر الطبيعية من الثقافات المهيمنة ، على الرغم من أنه مع تغيير مقياس الملاحظة ، قد تظهر ثقافة تابعة أو بديلة مهيمنة . وهكذا فإن أغلب المدن الإنجليزية اليوم بها مناطق تهيمن عليها مجموعات عرقية تختلف ثقافتها بشكل ملحوظ عن الثقافة البيضاء السائدة . وقد يؤدي هذا إلى انفصال بين البيئة المبنية الرسمية للمناطق السكنية في وسط المدينة ، والتي تم بناؤها قبل موجة الهجرة بعد الحرب من الأراضي الإمبراطورية السابقة والتي ما تزال تحمل الرموز المناسبة لذلك الوقت ، والاستخدامات غير الرسمية والمعاني والارتباطات الجديدة التي تم تقديمها الآن في مجتمع متعدد . قد يكون مستودع الترام السابق مسجدًا ، وقد تكون الطلاءات الزاهية وإيقاعات الريجي والملصقات الإنجيلية طبقات فوق شارع من شرفات القوانين الفيكتورية . **ولكن مهما كانت الثقافة البديلة مهيمنة محليًا ، فإنها تظل فرعية عن الثقافة الوطنية الرسمية** . وعلى هذا النطاق الأخير، أقوم بتقسيم الثقافات البديلة إلى متبقية وناشئة ومستبعدة .

ثقافات متبقية. العديد من عناصر المظاهر الطبيعية لم يتبق لها سوى القليل من معناها الأصلي . قد تكون بعضها خالية من أي معنى على الإطلاق بالنسبة للأعداد الكبيرة ، كما هو الحال بالنسبة ، على سبيل المثال ، الأهرامات الخرسانية التي ما تزال موجودة بالقرب من السواحل البريطانية متناثرة على أرض مستوية ونصفها مغطى بالنباتات - بقايا الحماية الرمزية في زمن الحرب ضد الدبابات الألمانية الغازية . لطالما اهتم الجغرافيون بالمظاهر الطبيعية القديمة ، واستخدموها عمومًا كأدلة لإعادة بناء الجغرافيات السابقة . ولكن كما هو الحال مع جميع الوثائق التاريخية ، من الصعب استعادة معنى مثل هذه السمات لأولئك الذين أنتجوها ، والواقع **أن التفسيرات التي نصنعها لها تخبرنا بالكثير عن أنفسنا وافتراضاتنا الثقافية بقدر ما تخبرنا عن أهميتها الأصلية** .

ومن الأمثلة على ذلك ستونهنج . إنه رمز مهيمن يقع على تلال ويلتشير، ليس فقط بسبب حجمه وعمره ولكن لأن معناه الثقافي الأصلي يكمن وراء الأمل المعقول في استعادته . يعتقد المهندس المعماري إينيجو جونز، الذي عاش في القرن السابع عشر، أن هذا المكان كان عبارة عن أنقاض مسرح روماني ، رافضًا بذلك النظريات القائمة التي تقول إنه كان معبدًا للدرويد أو مكانًا سحريًا لمآثر الملك آرثر التي صنعتها عصا ميرلين . وقد زعم منظرون لاحقون أنه كان مرصدًا عملاقًا ، وجهاز تقويم ، ونقطة محورية لنظام خطوط الطاقة المقدسة الذي ما يزال تأثيره قائمًا . وتشير كل من هذه التفسيرات إلى دور رموز المظاهر الطبيعية المتبقية في الكشف عن الثقافات البديلة المعاصرة .

إن العنصر الأكثر انتشارًا في المظاهر الطبيعية المتبقية في بريطانيا هو مبنى الكنيسة في العصور الوسطى . من الكاتدرائية القوطية العظيمة إلى برج القرية ، تحتوي كل مستوطنة تقريبًا على كنيستها القديمة ، مهما تغيرت بفعل الإضافات والتجديدات اللاحقة . إن هذه المباني ، من حيث الموقع والعمارة والحجم ،

ما تزال تشكل عبارات رمزية قوية في مشهدنا ، كما أن المقابر المحيطة بها ترسم التاريخ الثقافي لمجتمعها من خلال التصميم ، وتصميم شواهد القبور، والحروف والنقوش الجنائزية . وما يزال أقل الناس تديناً يعدون القوس القوطي المدبب رمزاً مقدساً . ومع ذلك ، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نطلق على دور الكنيسة في الحياة الإنجليزية المعاصرة أنه دور مهيمن . والواقع أن أحد المؤشرات على مكانتها المتبقية هو الصعوبة التي يواجهها المهندسون المعماريون في إيجاد أسلوب مناسب للدور الثقافي للكنيسة في الحياة الحديثة . فالمباني الكنسية القديمة تتحول إلى ملاهي ليلية ومتاجر سوبر ماركت رخيصة ، في حين تبدو المباني الكنسية الجديدة وكأنها ملاهي ليلية ومتاجر سوبر ماركت رخيصة ! وهناك الكثير من العمل المثير للاهتمام الذي يتعين القيام به بشأن المظاهر الطبيعية في الماضي ومعانيها المعاصرة ، وإعادة إنشائها الواضحة في المتاحف والمتنزهات الترفيهية هي نقطة انطلاق جيدة .

إن **الثقافات الناشئة** متعددة الأنواع ، بعضها عابر للغاية ولا يخلف سوى تأثير ضئيل نسبيًا على المظاهر الطبيعية ، كما هو الحال مع ثقافة الهيبيز في أواخر ستينيات القرن العشرين ، مع مجتمعاتها المرتبطة بها ، ومتاجر الأطعمة البديلة ، والمزارع العضوية الصغيرة . ومع ذلك ، فإن لكل منها جغرافيتها الخاصة وأنظمتها الرمزية الخاصة بها . ومن طبيعة الثقافة الناشئة أن تقدم تحديًا للثقافة المهيمنة القائمة ، ورؤية لمستقبلات بديلة ممكنة . وبالتالي فإن مناظرها الطبيعية غالبًا ما تكون ذات طابع مستقبلي ويوتوبي ، كما هو الحال مع القباب الجيوديسية التي فضلها سكان المجتمعات المحلية في أمريكا خلال سبعينيات القرن العشرين . ولكن بسبب هذا التوجه اليوتوبي بالتحديد ، فإن الثقافات الناشئة غالبًا ما تتعامل مع المخططات - المظاهر الطبيعية الورقية . وهي ليست أقل إثارة للاهتمام أو صلة بالدراسة الجغرافية لهذا السبب ، لأن **كل يوتوبيا هي رؤية بيئية بقدر ما هي رؤية اجتماعية** .

إن هناك جغرافيا لعام 1984 ، وعالم جديد شجاع ، وأشياء قادمة ، فضلاً عن كل كتب الخيال العلمي ، والقصص المصورة ، والأفلام . إن دراسة هذه الجغرافيا تخبرنا بالكثير عن الروابط بين المجتمع البشري والبيئة . ولا ينبغي لنا أن نستهين بدراسة **الجغرافيات الخيالية** ، ولا باستخدام المظاهر الطبيعية الحقيقية لتوقع الثقافات والعلاقات الاجتماعية المستقبلية . على سبيل المثال ، تم استخدام أفق مدينة نيويورك منذ أيام كينج كونج وسوبرمان لتقديم صورة للمجتمع الحضري المستقبلي وثقافته المتطورة ولكن الهشة ، والتي تتأرجح دائمًا على حافة الدمار من قبل قوى الشر الساحقة . وهناك أيضًا مشهد الرياضة ، وخاصة الرياضة الدولية والأولمبية ، الذي يظل رؤية مثالية للوئام البشري على الرغم من أن تعبيره عن المشهد قد تعرض للتخريب باستمرار من قبل الثقافة القومية ، من نورمبرج في عام 1936 إلى لوس أنجلوس في عام 1984 . نادرًا ما يتم وضع رموز المظاهر الطبيعية المتناقضة للمستقبل بشكل مؤثر كما هو الحال في بضع مئات من الأمتار التي تفصل بين الصوامع النووية الرمادية المنظمة والفوضى المحلية المترامية الأطراف في معسكر السلام في جرينهام كومن .

ثقافات مستبعدة. بحلول الوقت الذي تظهر فيه هذه المقالة مطبوعة ربما اختفت إحدى هاتين المظاهر الطبيعية الناشئة . ربما تم استبعاد الثقافة الخاصة التي تم الترويج لها في معسكر السلام النسائي رسميًا . بشكل عام ، **تمثل النساء أكبر ثقافة مستبعدة** ، على الأقل فيما يتعلق بالتأثير على المشهد العام . إن الثقافة الأنثوية واضحة في المنزل ، وربما في الحديقة المنزلية . ولكن المظاهر الطبيعية المنزلية هي تلك التي تجنب الجغرافيون دراستها بشكل كبير. إن تنظيم واستخدام الفضاء من قبل النساء يفترض مجموعة مختلفة جدًا من المعاني الرمزية عن تلك التي لدى الرجال ، وفي العقد الماضي تم تحقيق بعض البدايات المهمة في الكشف عن أهمية الجنس في نسب وإعادة إنتاج رمزية المظاهر الطبيعية . وكان هذا إلى حد كبير من عمل

علماء الأنثروبولوجيا . تظل ذكورة وأنوثة المظاهر الطبيعية العامة موضوعًا مستبعدًا إلى حد كبير من التحقيق الجغرافي ، لسبب واحد فقط هو أن الأسئلة لم تُطرح أبدًا .

وينطبق الشيء نفسه إلى حد كبير على الثقافات المستبعدة الأخرى ، بصرف النظر عن الدراسة العرضية ، والتي تُعامل عادةً على أنها ذات أهمية هامشية أو مشبوهة إلى حد ما . ولكن المظاهر الطبيعية البشرية مليئة برموز المجموعات المستبعدة ومعانيها الرمزية . إن الفضاء الرمزي لألعاب الأطفال واستخدامهم الخيالي للأماكن اليومية لخلق مناظر طبيعية خيالية ، وموقع قوافل الغجر، والعلامات التي يتركها المتشردون للإشارة إلى طابع الحي كمصدر للصدقات ، ورسومات عصابات الشوارع ، والإعلانات السرية ومؤشرات المظاهر الطبيعية لمجموعات متنوعة مثل المثليين أو الماسونيين أو البغايا ، كلها مشفرة في مشهد الحياة اليومية وتنتظر الدراسة الجغرافية . ومن الرائع مقارنة المعاني الرسمية للمناظر الطبيعية للحديقة العامة التي ناقشناها سابقًا مع جغرافيتها الرمزية لمختلف الثقافات المستبعدة .

إن المظاهر الطبيعية المسلم بها في حياتنا اليومية مليئة بالمعاني . ويكمن الكثير من الجغرافيا الأكثر إثارة للاهتمام في فك شفرتها . إنها مهمة يمكن لأي شخص أن يقوم بها على مستوى التطور المناسب له . ولأن الجغرافيا موجودة في كل مكان ، ويعيد كل منا إنتاجها يومياً ، فإن استعادة المعنى في مناظرنا الطبيعية العادية تخبرنا بالكثير عن أنفسنا . والجغرافيا الإنسانية هي جغرافيا بشرية بالغة الأهمية وذات صلة ، وهي الجغرافيا التي يمكن أن تساهم في صميم التعليم الإنساني : المعرفة والفهم الأفضل لأنفسنا وللآخرين وللعالم الذي نتقاسمه .